مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) ج وهران2/ المجلد 10 ع 2 خ / 16 /03/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

مسجد مولاي إدريس الريفي بمنطقة تيانت القديمة دراسة أثرية

MoulayIdriss rural mosque, ancient Tiant District, archaeological study

عبدالحق إيشو Abdelhak Ichou * tounanichou13@gmail.com	علم الآثار الإسلامية	مخبر التراث الأثري وتثمينه/كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الآثار/جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان/الجزائر
أ.د.بالحاج معروف Belhadj Marouf balmar2004@yahoo.fr	علم الآثار الإسلامية	مخبر التراث الأثري وتثمينه/كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الآثار/جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان/الجزائر

DOI : 10.46315/1714-010-002-034

الإرسال: 2020/04/14**القبول**: 2020/06/18**النشر**: 2021/03/16

الملخص: تعد المساجد الريفية ببساطتها وتقشفها في البناء رمزا للحضارة الإسلامية، فهي تعبر بحق عن المستوى المعيشي الذي كان يعيشه سكان القرى والأرياف، الذين قاموا ببناء مساكن ومنشآت معمارية مختلفة تتلاءم وطبيعة البيئة متأقلمين في ذلك مع ما توفر لهم الطبيعة من مواد البناء، وحسب ما لديهم من إمكانيات إنشائية بسيطة، واعتمدوا في تقنيات البناء وتوزيع الفضاءات الداخلية للمباني على خبراتهم ومشاهداتهم، وما تمليه الممارسات الاجتماعية للمجتمع، كانت مساجد الأرياف القلب النابض للقرية، وكانت تؤدّي فيهاالصلاة ، بالإضافة إلى أداء العديد من الوظائف الأخرى، وهذا ما جعل سكان الريف يولونها أهمية فائقة ومن أجل حصر الخصائص المعمارية لمساجد ترارة الريفية وقع اختيارنا على مسجد مولاي إدريس الذي من خلاله سنتمكن من معرفة الطرز المعمارية المطبقة في هذه الربوع، وأهم مواد البناء المعتمد عليها، والتقنيات المستخدمة في البناء من قبل سكان المنطقة.

الكلمات المفتاحية: مولاي إدريس، العناصر المعمارية، المسجد، الريف، ترارة.

Abstract:

Regardless of all its simplicity and austerity of construction, the Rural Mosques are considered as a symbol of the Islamic Civilization, it really reflects the living standards of The villagers and The rural residents, Those who built different houses and various architectural constructions that are harmonious with nature, They are adapted to this environment and used what nature provided for them, exploiting simple materials and modest construction abilities Concerning the building techniques and distributing the internal spaces, they relied on their own experiences, observations, and what the social practices dictates. The rural mosques were the beating heart of the village, in addition to prayers, many other acts and functions were performed inside the mosques, this what made the villagers give the Mosques a great importance, In order to limit the architectural characteristics of the rural mosques in "Trara", we ha e chosen the Mosque of " MoulayIdris", through which we will be able to distinguish the architectural styles applied in these regions, and the most important materials, tools and techniques used in these constructions by the inhabitants of the area .

Keywords: MoulayIdris, Architectural Elements, Mosque, Countryside, Trara

* الباحث المُرسل: tounanichou13@gmail.com

مقدمة:

تعتبر عمارة المساجد الريفية من بين المجالات الهامة في الدراسات الإنسانية عامة والأثرية بصفة خاصة، حيث كان للبيئة والطبيعة أثر بارز نتج عنه ظهور أشكال وتصاميم معمارية خاصة لهذه المنشأة الدينية، وهي ليس كما يعتقد بعض الباحثين أنه لم يكن لها نظام معماري خاص بها ولا مخطط معد مسبقا، بل من الجدير القول أن هذه التصاميم مستمدة أصولها من تخطيط المساجد الأولى في الإسلام، وعليه فإن منطقة ترارة(Renée Basset، 1901، الصفحات 65-66)عرفت عبر أزمنة تاريخية مختلفة بناء عدد كبير من المنشآت المعمارية ذات الوظائف المختلفة، سواء كانت دينية أو مدنية أو عسكرية، وما زال بعضها واقفا شاهدا على التقدم الحضاري للمنطقة، وجاءت ذات سمات وأشكال معمارية متميزة، وحافظت على نمطها وأسلوبها المعماري على الرغم من التغيرات التي تعرضت لها، وقد أدت هذه العمائر أدوارا ووظائف مختلفة تتماشى مع ظروف تلك الفترة، ومع عادات وتقاليد سكان المنطقة، وعلى غرار المدن فقد حظي المسجد الريفي باعتباره المبنى الرئيسي في المدينة الإسلامية بمكانة رفيعة، وهكذا كان الأمر بالنسبة للمجتمع الترارى، ومن هذا المنطلق شهدت منطقة تيانت القديمة تأسيس مسجد مولاي إدريس الذي يعد أحد المساجد الريفية القديمة بالمنطقة، وعلى ضوء هذا وبالاعتماد على المعطيات المتوفرة تتلخص إشكالية البحث والتي جاءت كالآتي:

-ما هي الخصائص المعمارية التي يتميز بها مسجد مولاي إدريس؟

-هل يعبر التكوين المعماري لمسجد مولاي إدريس عن خصائص يتميز بها العمران الريفي؟

-ماهي أهم الوظائف التي قدمها مسجد مولاي إدريس؟

إن طبيعة التساؤلات التي يطرحها الموضوع تفرض علينا نوع المنهج الذي نسلكه في البحث، إذ اعتمدنا على المنهج النظري ونجد فيه أهم الوثائق المكتوبة كالمصادر والمراجع، وذلك لمعرفة تاريخ المنطقة من أجل تقصي الحقائق ومقارنتها بما هو موجود على الواقع، أما عن المنهج التطبيقي وهو ما يعرف بالدراسة الميدانية التي قمنا بها من خلال زياراتنا المتعددة للمنطقة وذلك بالتنقل إلى المسجد المراد دراسته عدة مرات ومعاينته عن قرب، حيث قمنا بالرفع المعماري والوصف مع التقاط الصور، وبالتالي وضع المخطط الخاص بالمسجد، وعن المنهج التحليلي فمن خلاله حاولنا إعطاء تفسيرات حول فضاءات وملحقات المسجد، لاسيما إبراز أهمية العناصر المعمارية.

1-تعريف المسجد:

لغة: من سجَد، خضع وانتصب،(آبادي، 2009، صفحة 594)والمسْجَدُ بفتح الجيم كمسكن ،على وزن مفعلن بالكسر اسم لمكان السجود، وبالفتح اسم للمصدر، ويقال مَسيد بفتح الميم حكاه غير واحد،(الزركشي، 1999، صفحة 26) وقد ورد في ذكر لفظة المسجد في الكثير من آيات القرآن

الكريم، منها قوله تعالى " لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ "، (التوبة، صفحة 108) وهذا من خصائص الأمة لأن من كانوا قبلنا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته(حسن، صفحة 13).

اصطلاحا: كل موضع يتعبد فيه هو مسجد، لقول النبي صلى الله عليه وسلم " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"، (الألباني، 2002، صفحة 124) ويكون السجود على جهة الخضوع والتواضع، ولم تقتصر المساجد على دور تعبدي فقط، بل إننا نجدها قد قدمت الكثير من الخدمات منذ نشأة الإسلام الأولى حتى اليوم، فقد كانت منازل أحياء وبيوت مال ومجالس شورى ومعاهد علم، كما أنها كانت مراكز قيادة ومشاعل هداية، فهي الحسنة الجارية والذكرى الخالدة والعلامة الدالة على أن هاهنا إنسانا خيّرا عرف الله فشيد بيتا لله(الخولي، صفحة 07).

2-خصائص عمارة المساجد الريفية:

لقد خضعت المساجد الريفية بصفة رسمية لتصميم وبناء وفق مخطط معد مسبقا باعتبارها مساجد صغيرة لا تلبي حاجيات ساكني القرية أو الريف، ولا شك أن لهذه المساجد خصائص معمارية انفردت بها عن تلك المعروفة في المساجد الكبرى.

2-1من ناحية التخطيط:

إن أهم ما يميز مساجد تلمسان أنها توفرت على جميع المرافق المعروفة في المساجد الأولى، لا سيما الريفية، على خلاف بعض المرافق أو العناصر المعمارية كالمئذنة التي نكاد لا نجد لها أثرا، كذلك لم تخضع للإضافات والزيادات الكبيرة من طرف الأمراء الآتين بعد الذين أمروا بإنشائها إلا في بعض الأجزاء البسيطة، كذلك امتيازها بوحدة التصميم والهيكل (العقاب، 2002، الصفحات 54-55)، وهذا ما يرجع لمعايير تصميم المساجد(حيدر، 1990، صفحة 45).

كما أنها لم تلق عناية فائقة من الناحية الجمالية (بل، 2011، صفحة 61)، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى تمسك سكان المنطقة بالطراز المعماري الأصيل وتكراره في كل المساجد.

2-2 من حيث المساحة:

أما من ناحية المساحة، فإننا نجد أنها جاءت مساجد صغيرة الحجم، هذا وبالاستناد إلى بعض الدلائل المعمارية التي نلاحظها في قلة عدد البلاطات والأساكيب سواء الموازية أو العمودية على جدار القبلة(العقاب، 2002، صفحة 57)، وبالمقابل نرى أن هذه الخاصية ترجع إلى عامل الكثافة السكانية، حيث لا تتسع هذه الأخيرة إلا لأفراد القرية، ومن أجل ذلك سنعتمد على ما وضحه لنا " Ernest Neufert " عن المساحة التي يستحقها المصلي أثناء قيامه بفريضة الصلاة والذي حددها ب 0.85م^2 لكل مصل، ومنه تقسيم مساحة بيت الصلاة على هذه الأخيرة باستثناء الدعامات(Neufert, 1996, p. 520) (الشكل01).

2- 3من ناحية المواد البنائية وتقنياتها:

تميزت جميع المعالم باستعمال مواد متنوعة في بناءها متماشية مع تقنيات كانت سائدة في تلك الفترة، وقد خضعت هذه المواد في عملية اختيارها لعدة عوامل نذكر منها، وفرتها وملائمتها للظروف الطبيعية والمناخية التي تخضع لها هذه المساجد الريفية، وقد استخدمت المواد حسب كل الفئة التي قامت ببنائها، ولو أنها لم تختلف كثيرا، بحكم تقارب فترة التشييد بينها(قادة، 2006-2007، صفحة 69)، وحيثما شاع استخدام المواد التقليدية في الماضي فإنها أكدت التعبير المحلي للمباني في تلك المناطق الريفية ومنها المساجد (ك.و.سميثيز، 1988، صفحة 08)، ولا سيما أن الأشكال المتعددة للطرز المعمارية التي ارتبطت بشكل قوي بأنظمة الإنشاء والمواد المستعملة خلال فترة معينة(جميل، 1999، صفحة 14).

3-وظائف المساجد الريفية:

لقد تداول لدى الكثير من الكتاب والمؤرخين أن المسجد قد خصص فقط لتأدية فريضة الصلاة، ولكن في نفس الوقت نجده يؤدي العديد من الوظائف الهامة باعتباره مكان التقاء المسمين مهما اختلفت اعمارهم.

3-1الوظيفة الدينية (التعبدية):

المسجد بيت الله وظيفته الأساسية الصلاة (حيدر، 1990، صفحة 124)،ولقد كان المسجد على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مصدر نور وإشعاع، كما كان مدرسة للتربية الروحية والبدنية(الأثري، 1991، صفحة 08)، ومنذ نشأته اتخذ كمؤسسة دينية يلتقي فيه العباد، وهو في نفس الوقت قلب الروح وروح الحي في المدينة(سويسي، 2007-2008، صفحة 08)، والمسجد في الريف هو الذي يزيل الوحشة عن تواضع مباني القرية وصغرها وينفي الجمود عن غزو مباني العواصم(مؤنس، 1991، صفحة 27).

3- 2الوظيفة التعليمية:

لقد تبين لنا أن أغلب المساجد الريفية قد وجدت بها قاعات لتدريس وتعليم القرآن الكريم للصبيان منذ صغرهم لما له من فائدة تربوية وتحصيل علمي كبير، حيث يقول في هذا الصدد أبي زيد القيرواني " إن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله، وأن تعلم شيء في الصغر كالنقش على الحجارة "(برشان، 2013، صفحة 198)، هذ وإن دل فإنما يدل على أن المساجد هي مراكز التعليم الأولى في الإسلام، حيث كان التدريس فيها مباحا لكل من يجد نفسه القدرة عليه، كما كان الاستماع للدرس مباحا لكل من يرغب فيه ولا يحجب عنه أحد سوى الصبيان والمجانين، ولم يكن المعلم ملزما بموعد معين للجلوس في المسجد، كما لم يكن ملزما بتدريس موضوع معين بذاته، بل كان يدرس ما يعرفه من علوم، ولقد كان التدريس في المسجد على شكل حلقات، حيث سمي

الدرس ب"الحلقة"، لأن الطلبة كانوا يتحلقون في حلقة أو شبه عقد حول شيخهم، وكانت الحلقة تتسع وتضيق تبعا لعدد الطلاب(حيدر، 1990، الصفحات 19-20).

3-3 الوظيفة الاجتماعية:

بالإضافة إلى ما تقدم لنا فإننا نرى أن هذه الأخيرة لم تقتصر على الوظيفة التعبدية والتعليمية فقط، بل اتخذت كمركز شورى، وأن هؤلاء الفلاحون مهما ما يبذلونه من جهد في سبيل أرضهم، ورغم خصاصتهم وفقرهم المدقع، إلا أنهم يكرمون مساجدهم إكراما عجيبا، فهم يجهدون أنفسهم لمنعها من السقوط ويحمونها، كما يخصون جزءا من مواردهم الزهيدة للمساهمة في الإنفاق على القائمين على الدين والإمام والمؤذن، وحتى الإنفاق على الطلبة الذين يحفظون القرآن الكريم(بل، 2011، الصفحات 54-55)،كما كان لهذه المساجد الريفية أنظمة أحباسها وغلاتهاّ(الونشريسي، 1981، صفحة 129)،ولقد اتخذت كمسكن للفقهاء والطلاب والغرباء(عابري السبيل)، وذلك ما حدث في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مكانا للسكن من لا مأوى له(حيدر، 1990، صفحة 125).

1-المعطيات الجغرافية والتاريخية لمسجد مولاي إدريس:

4-1الموقع:

يقع مسجد "مولاي إدريس" بمنطقة تيانت"، التي توجد بالغرب التلمساني، وهي بلدية تابعة لدائرة الغزوات، تتميز بطابعها الفلاحي وتبعد عن البحر ب 7 كلومترات، وترتفع عن مستواه ب270متر، أما عن حدودها الجغرافية فيحدها من الشمال الغزوات، من الغرب السواحلية، ومن الشرق ندرومة أما من الجنوب جبالة(تيانت).

ولابد من الإشارة إلى منطقة تيانت تنقسم حاليا إلى قسمين، تيانت الجديدة ويطلق عليها بالحزام، وتيانت القديمة (القرية) التي يوجد بها مسجد مولاي إدريس، وعليه فلقد احتل المسجد موقعا استراتيجيا هاما ذلك أنه جاء مبني على كتلة صخرية، تحيط به مجموعة من المباني القديمة كالمساكن والأضرحة، وهذا مما جعله يتوسط القرية ذات التجمع السكاني المعتبر(الشكل 02) (الصورة 01).

4-2نبذة تاريخية عن المسجد:

لم تشر المصادر التاريخية إلى تاريخ تشييد المسجد وأصل تسميته، باستثناء روني باسي René Bassetصاحب كتاب "ندرومة وترارة" الذي قدّم لنا بعض المعلومات عن المسجد، وإن كانت شحيحة، حيث يرجع تاريخ بنائه إلى الفترة العثمانية، وينسب تشييده إلى باي بايلك الغرب محمد الباي الكبير بوهران(1972م،Gorguos، 1857-1858، الصفحات 28-46) الذي كانت تربطه علاقة صداقة بمولاي قندوز الذي هو دفين الضريح المجاور لمسجد "مولاي إدريس"، واستنادا إلى

هذه المعطيات يمكننا ترجيح بنائه في الفترة الممتدة بين 1193-1213هـ/1779-1798م، ولكن تاريخ المئذنة يعود حسب روني إلى الفترة الفرنسية(Renée Basset، 1901، صفحة 43)(الصورة 02).

أما عن أصل تسمية المسجد، فإننا نجهل مصدر تسميته بهذا الاسم، ولكن في اعتقادنا أنه ربما يكون تخليدا لأحد الأمراء الأدارسة، وهو عبد الله الترناني بن إدريس بن محمد بن سليمان الذي كان يحكم حسب ما أشار إليه البكري منطقة ترنانا (قرية جبالة) القريبة بمنطقة تيانت خلال القرنين الثاني والثالث (البكري، صفحة 80).

5- الوصف المعماري للمسجد:

لقد تقدم لنا من خلال الزيارة والمعاينة الميدانية أن المسجد يتألف من عدة فضاءات معمارية مختلفة، تتوزع هذه الأخيرة على مساحة معتبرة، كما نسجل غياب بيت الوضوء الذي لا يوجد له أثر في المسجد (الشكل 03).

يتخذ مسجد "مولاي إدريس" شكلا غير منتظم يتألف من بيت للصلاة وصحن وقاعات متعددة ملحقة به، منها ما هي ملاصقة للمسجد، ومنها ما تأخذ موقعها بالطابق العلوي على بعد أمتار من المسجد، واستغلت هذه القاعات للتدريس وتحفيظ القرآن الكريم، كما ترتفع المئذنة بجوار المسجد ، وفي ظل غياب المعطيات عن الجانب المعماري للمسجد سنعتمد في وصفنا له على العمل والمعاينة الميدانية، أما عن الأبعاد الخارجية فيمكن تقديرها داخل مستطيل بحوالي طول 35م، وعرض 25م.

5-1بيت الصلاة:

يمتد بيت صلاة مسجد مولاي إدريس عرضيا ويتخذ شكلا مستطيلا، عرضه 13م وعمقه 10م، يتكون من أربعة أساكيب موازية لجدار القبلة، ويتأكد من خلال العناصر المعمارية (التسقيف والركائز) ومواد البناء، أنّ الأسكوبين الأخيرين حديثا العهد، بينما لم يطرأ في اعتقادنا على الجدران الشمالية والغربية تغييرات، وذلك انطلاقا من شكل الكوات غير النافذة المفتوحة فيهما، والتي نجد ما يشبهها في جدار القبلة، ويبلغ اتساع كل أسكوب بحوالي 2م، كما يوجد فضاء في الركن الغربي يرتفع عن الأرضية بحوالي مقدار0.75م، وهو خاص للنساء، أما عن قدرة الاستيعاب لهذا المسجد تقدر بحوالي 147 مصلي، هذا وبالاعتماد على النظرية التي سبق وأن أشرنا إليها (الصورة03).

5-2الصحن:

الصحن هو أهم عنصر في المبنى الإسلامي، فهو فضاء داخلي مكشوف نحو السماء، نحوه جميع أبواب ونوافذ المبنى ومن خلاله تتم إضاءة وتهوية الفضاءات الداخلية.

يأخذ الصحن موقعه بجوار بيت الصلاة بالجهة الشمالية الشرقية على غير التقاليد المعمارية المألوفة في عمارة المساجد، حيث يكون الصحن عموما متقدما بيت الصلاة في الجهة الشمالية الغربية، جاء الصحن في هذا المسجد في شكل غير منتظم ولا تحيطه أروقة، بل تجاوره مجموعة من الحجرات من الجهتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية، ويطل على الشارع من الناحية الجنوبية الشرقية، وتم فتح حنية المحراب في جداره القبلي، والتي تأخذ شكل العنزة المعروفة في العمارة الإسلامية، توظف هذه العنزة لأداء الصلوات في أيام الحر، وتحمل فتحة المحراب نصا كتابيا يشير إلى تاريخ تأسيسه بالإضافة إلى آية قرآنية، والنص كما يأتي "فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ 1370هـ-1961م "(البقرة، صفحة 144).

3-5 ملحقات المسجد:

لقد تبين من خلال المعاينة الميدانية والدراسة الوصفية للمسجد، أنه قد أحيط بملحقات متمثلة في غرف وحجرات لتحفيظ القرآن الكريم كما سبق وذكرنا، إلى جانب وجود حجرات لإيواء الطلبة المتمدرسين الوافدين من مناطق أخرى بعيدة، ويدل على ذلك تلك المواقد النارية المبنية بالحجارة والموجودة في ركن إحدى الحجرات والتي استعملت للطهي والتدفئة.

يوجد بمسجد مولاي إدريس أربع حجرات، اثنتان منها في الطابق الأرضي، أما الأخريان ففي الطابق العلوي، فبالنسبة للحجرة المجاورة الموجودة في الجهة الشمالية الغربية للصحن فيتم الولوج إليها عن طريق سلم صاعد يتكون من أربع درجات، وهي ذات تصميم غير منتظم قريبة من المستطيل (8.5م×3.5م)، ولإضاءة وتهوية هذه الحجرة تم فتح كوتين، كوة غير نافذة مخصصة لحفظ الأغراض، وكوة نافذة مستطيلة الشكل تطل على الصحن.

تقع الحجرة الثانية خلف جدار القبلة لبيت الصلاة، وفي الجهة الجنوبية الغربية للصحن، ويتم الولوج إليها عن طريق سلم نازل يتشكل من خمس درجات، وهي ذات تصميم غير منتظم الشكل قريب من المستطيل(6م×4.5م)، نلج إليها عن طريق باب خشبي، وتأمن إضاءة وتهوية هذه الحجرة فتحتان مستطيلتا الشكل على شكل مزاغل تطلان نحو الخارج من الناحية الجنوبية الشرقية، كما فتحت في الجدران الداخلية للحجرة من الداخل كوتان غير نافذتين جدارتين كانت تستخدم لوضع الأغراض.

أماوبالنسبة لحجرات الطابق العلوي فمن خلال مواد وتقنيات بنائها يلاحظ أنها حديثة العهد، ويتم الصعود إليهما عن طريق سلم يتألف من ثمانية درجات، ينطلق بمحاذاة الحجرة الشمالية الشرقية، يتم الدخول إلى هاتين القاعتين عن طريق باب ذو مصراعين من الخشب، ويفصل القاعتين جدار، فأما القاعة اليمنى فمستطيلة الشكل ويبلغ طولها حوالي 9م وعرضها 5 م، وأما اليسرى فمستطيلة الشكل ويبلغ طولها بحوالي 8م وعرضها 4م، وفتحت في جدرانهما نوافذ من

الحجم الكبير مما يدل على حداثة بنائها، وتنفرد القاعة اليسرى بوجود كوة غير نافذة في جدارها الشمالي الشرقي.

- العناصر المعمارية:

يتشكل المسجد من مجموعة من العناصر المعمارية التي تؤدي وظائف مختلفة داخل المسجد، فعلى العموم مازالت تحافظ على هيئتها المعمارية باستثناء بعض الإصلاحات التي ألحقت بالمسجد في فترات متأخرة.

6-1المداخل والأبواب:

يعرف المدخل اصطلاحا بأنه فتحة قائمة في سور المدينة أو الحصن، وفي واجهة المنزل أو القصر، أو المسجد (رزق، 2000، صفحة 23).

يوجد بمسجد مولاي إدريس خمسة مداخل رئيسية، تتوزع على النحو الآتي مدخل في الجهة الشمالية الشرقية يؤدي إلى فضاء مستطيل الشكل، ويقابله مدخل آخر يفضي إلى الصحن ومدخل آخر في الواجهة الشمالية الغربية يؤدي إلى الصحن عن طريق ممر ضيق، أما المدخلان الآخران فيؤديان إلى بيت الصلاة ويقعان في الجهة الشمالية الشرقية.

يعلو المدخل الأول ظلة حديثة مبنية بالإسمنت مما يدل على حداثتها مرتكزة على عمودين من الإسمنت بارزة عن الجدار بحوالي 1.50م، وبهذا المدخل باب ذو مصراعين من الخشب يبدو أنهما قديمان، ويعلوه عقد حذوي منكسر، كما يحيط بالمدخل إطار بارز يعلوه صف من البلاطات الخزفية التي تبدو قديمة العهد، أما عن المدخل الثاني فهو ذو عقد حذوي، والذي أيضا من خلاله أيضا نلج إلى بيت الصلاة(الصورة 04).

6 – 2 المحراب:

المحراب هو صدر البيت، وأكرم موضع فيه، والجمع محاريب، وهو أيضا الغرفة (منظور، صفحة 305)، لقد أولى المعماريون المسلمون عناية فائقة بعمارة المحراب، وذلك لما له من أهمية في المسجد، إذ يوجد بأهم جدران المسجد، وهو الذي يشير إلى القبلة.

يبدو محراب مسجد مولاي إدريس على هيئته المعمارية الحالية أنّه ما زال يحافظ على شكله الأصلي، علىالرغم من الترميمات والإصلاحات المتتالية التي طرأت عليه، حيث جاء متوسطا جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية ذات شكل نصف دائري، عرض فتحته 0.90م، وعمقه 1م، يعلوه عقد حذوي منكسر، وغطيت الحنية من الداخل بقبة صغيرة، ويحيط بفتحة المحراب إطار مستطيل مشكل من صف من البلاطات الخزفية التي يبدو بعضها حديثة العهد، ويلي البلاطات الخزفية شريط مستطيل الشكل ومقعر، ولابد من الإشارة إلى أن المسجد لا يحتوي على منبر.

6 – 3 الركائز:

عرفت العمارة الإسلامية الركائز والتي هي الدعامات والأعمدة على عدة أشكال وأنماط متعددة، فقد أدت دور التدعيم وحمل أسقف العمائر حينا وللزخرفة في أغلب الأحيان.

اعتمد البناء في حمل سقوف المبنى على عنصر الدعامة التي اتخذت في المسجد شكلا مربعا، حيث بلغ عددها في بيت الصلاة ثلاثة عشر دعامة، ذات مقاس حوالي 0.50م×0.50م، وتبدو الدعامات العشرة الموجودة في البائكتين الأوليتين الموازيتين لجدار القبة أصلية، على خلاف الدعامات الثلاث في البائكة الأخيرة، التي تعد مستحدثة، كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك سالفا، يتوسط بيت الصلاة ست دعامات، أربع منها نصف مدمجة، في كل من الجهتين الشرقية والغربية للمسجد.

6 – 4 العقود:

العقد عنصر معماري مقوس، يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة أو أكثر، ويشكل فتحات البناء أو يحيط بها، ويبنى العقد من الحجارة أو الآجر والجريد في بعض الأماكن الصحراوية (وزيري، 1999، صفحة 61).

لقد حظيت العقود في العمارة الإسلامية بأهمية خاصة من طرف المعماريين الإسلاميين، ذلك لما لها وظائف بارزة في العمارة أيا كانت، فهي التي بدورها تحمل ثقل السقف وفي نفس الوقت اتخذها المعماريون كعنصر تزييني، وجاءت في أشكال متنوعة، وقد تكون أحيانا مركبة الواحد فوق الآخر مثل عقود جامع قرطبة بالأندلس.

لقد تنوعت أشكال العقود في مسجد مولاي إدريس، إذ استخدم العقد الحذوي المنكسر، فنجده يعلو حنية المحراب والمداخل الرئيسية للمسجد وبوائك بيت الصلاة، أما العقد الحذوي فقد تم استخدامه في المدخل الثانوي لبيت الصلاة ولكن يبدو أنه شهد نوعا من التغيير، كما نسجل حضور نوع آخر من العقود ألا وهو العقد المفلطح والذي نراه في الكوات الجدارية الموجودة في جدران المسجد.

6 – 5 التسقيف:

السقف، جمعه أسقف، وسقوف، وهو غماء البيت، وقد سقف البيت سقفا، والسماء شقفا على الأرض (منظور، صفحة 166) وهو غطاء البيت وأعلاه المقابل لأرضيته(رزق، 2000، صفحة 149).

بالنسبة لنوع التسقيف الذي بمسجد مولاي إدريس فهو من النوع المسطح الذي يظهر في شكل قبوات صغيرة من الداخل، وهذه التقنية استعملت في عهد الاحتلال الفرنسي (الشكل 04) .

6 - 6 المئذنة:

هي الجزء الجوهري من كل مسجد(دله، صفحة 65)، وهي بناء رأسي مرتفع يعلو في قمته صوت المؤذن، للإعلان والإعلام بحلول وقت الصلاة، عن طريق النداء ودعوة المسلمين إليها في أوقاتها الخمسة ويوم الجمعة(قربة، 1986، صفحة 08) وقد عرفت العمارة المسجدية طرزا معمارية مختلفة لهذا العنصر.

تقع مئذنة مسجد "مولاي إدريس" في الجدار الشمالي الشرقي للمسجد، على يمين المدخل الرئيسي من الخارج، وعلى جهة اليسار من مدخل مصلى النساء، قاعدتها ذو شكل مربع، أي أنها تنتمي للطراز المعماري المربع الشكل الذي انتشر في المغرب الإسلامي، ، وتتألف من قسمين رئيسين الأول سفلي وهو البدن الذي ينطلق من قاعدة مربعة الشكل طول ضلعها حوالي 3.60م، ويصل ارتفاع هذا البدن حوالي13م، وأما الثاني فهو الجوسق(غرفة المؤذن) قاعدته مربعة الشكل طول ضلعها 1.80م، ويبلغ ارتفاعه حوالي 2م، يرتفع فوق بدن الجوسق قبة صغيرة بها سفود مزين في نهايته بنجمة وهلال، وتنفتح في جدرانه فتحات للتهوية والإضاءة.

للمئذنة باب خشبي، مفتوح في الجهة الجنوبية الشرقية، يقدر عرضه ب 0.62متر وارتفاع ب1.88متر، تتألف المئذنة من الداخل من نواة مركزية مربعة الشكل طول أضلاعها (0.95×0.90 م)، يلتف حولها سلم صاعد يتكون من 67 درجة، ويؤدي إلى الشرفة، ويتوج هذه الشرفة أربع شرافات في الأركان التي تبدو أنها حديثة العهد.

تجدر الإشارة إلى أن سلم المئذنة جاء على شكل دائري والذي يبدو أنه طرأ عليه تغيير في فترة متأخرة، كلما ارتفعنا عن القاعدة حوالي ثلثي المسافة.نلاحظ توزع نوافذ صغيرة على جدار المئذنة، والتي هي على شكل مزاغل تسمح بمرور الضوء والهواء، كما نسجل غياب العناصر الزخرفية سوآءا في بدنها أو في الجوسق (الشكل 04) (الصورة 05).

7- مواد وتقنيات البناء:

قبل الخوض في دراسة مواد وتقنيات البناء، تجدر الإشارة إلى أننا لم نعثر من خلال المعاينة الميدانية على شواهد أثرية، ولا حتى حول استفساراتنا بالنسبة لسكان القرية، على مقالع خاصة بالحجر التي بنيت بها هذه المساجد، ولا حتى ورشات صنع الآجر، وأفران حرقها، على خلاف المئذنة التي تظهر فيها جليا مادة الآجر، هذا مما يصعب على الباحث معرفة المواد التي بني بها هذا المسجد، محلية أو غير ذلك، وما شهدناه هو مادة الخشب الذي وظفت في أبواب المسجد، والذي يبدو أنها أصلية، على خلاف ما نجده في إحدى قاعات الطابق الأرضي الذي يبدو أنها استحدثت في فترات متأخرة عن تشييد المسجد حسب اعتقادنا وكذا بعض النوافذ التي وجدت بالمسجد.

خلاصة:

من خلال ما تقدم لنا حاولنا الخروج من هذه الدراسة بمجموعة من النتائج العلمية والموضوعية والتي انحصرت أساسا في عدة نقاط مهمة:

- انعدام المصادر والمراجع المتحدثة عن المسجد، بخلاف روني باسي الذي ينسبه إلى الفترة العثمانية، باستثناء المئذنة الذي يرجعها إلى الفترة الفرنسية، إلا أننا نعقب على روني باسي حول تاريخ المئذنة فهي تنتمي ضمن الطراز المغربي المربع الذي شاع في بلاد المغرب الإسلامي.

- اتبع المسجد نفس الطراز الذي كان سائدا في المساجد الأولى في الإسلام.

- احتل المسجد موقعا هاما واستراتيجيا وسط القرية، وهذا ما لاحظناه من خلال المكان الذي شيد فيه.

- تعدد المداخل بالمسجد في كل من جهاته منها الرئيسية والثانوية.

- تخطيطه غير معقد وهو صغير الحجم، مع الإضافة إلى أنه لم توظف فيه عناصر معمارية متنوعة كالقباب والميضأة، مع خلوه من كل أساليب وأشكال الزخرفة.

- من الملاحظ أيضا أننا وجدنا العديد من الملحقات المعمارية والتي تمثلت أساسا في حجرات وقاعات محيطة بالمسجد منها ما وجدت بالطابق الأرضي ومنها ما وجدت بالطابق العلوي.

- بعض العناصر المعمارية لم تأخذ موقعا مألوفا في عمارة المسجد كعنصر الصحن.

-بالنسبة لوسائل الدعم نرى توظيف عنصر الدعامة وغياب عنصر العمود مع اختلاف وتنوع العقود في بيت الصلاة.

- بالنسبة للتسقيف فإنه يعود إلى الفترة الفرنسية على غرار مادة الخشب التي وظفت في إحدى القاعات المجاورة للمسجد، بل ومن الراجح أن يكون هذا النوع من التسقيف قد وظف بيت الصلاة.

- اعتماد البناء في الريف على إنجاز هذا المسجد على كل ما توفره البيئة المحلية من مواد قابلة للاستعمال في البناء، أهمها الحجارة والآجر لاسيما مادة الخشب.

خاتمة:

تبين لنا من خلال ما سبق ذكره في هذه الدراسة الدور الفعال الذي قدمه مسجد مولاي إدريس تاريخيا وحضاريا، كما عكس لنا مدى تطور العمارة المسجدية الريفية التي عرفته المنطقة، معماريا نجد أن المسجد قد حافظ على تكوينه المعماري رغم الإصلاحات والترميمات التي ألحقت به في فترات متأخرة، ويرجع الفضل هنا إلى ساكني القرية لما قدموه من مساهمات تحميه من السقوط والانهيار رغم الإمكانيات المحدودة وظروف المعيشة التي لا تسمح لهم بذلك، ومن بين الظواهر الجديدة التي نسجلها في المسجد هي صغر حجمه مقارنة بمساجد المدينة، وهذا ما يلبي احتياجات

عدد قليل من السكان الذين يعيشون في تلك الرقعة الجغرافية المحددة، وبالرغم من هذا نجد أن المسجد قد شهد وفود كثيرة من طرف السكان وهذا ما يبرره المحراب الموجود في الصحن الذي استغل للصلاة، وفي المقابل نرى أن مسجد مولاي إدريس قد أدى العديد من الوظائف الهامة والبارزة غير وظيفته الدينية، حيث اتخذ كمركز لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم وتعاليمه، ونستشف كلامنا هذا من خلال تعدد الحجرات والقاعات الملحقة بالمسجد، وفي الأخير يمكن القول أن مثل هذه الدراسات وما جاء فيها عن المساجد الريفية تعتبر موضوعا هاما في دراسة العمران الريفي، كما أن هذه المواضيع تحتاج إلى مجهودات علمية كبيرة ومتظافرة ويمكنها أن تتناول جوانب كثيرة يتم التطرق إليها في هذه الدراسة التي ساهمت بالتعريف بمسجد مولاي إدريس، والذي قد تتعرض للانهيار والاندثار يوما بعد يوم، ففي غالب الأحيان تدمر هذه المنشآت لتحل محلها منشأة جديدة، وبالتالي ضرورة التحسيس بهذه المعالم لما لها من قيمة تاريخية وأثرية وذلك بالتنبيه إلى صيانتها وحفظها من الزوال.

المصادروالمراجع:

- القرآن الكريم.

1- محمد ناصر الدين الألباني، **2002**، مختصر صحيح البخاري، المجلد الأول، الطبعة الأولى (كتاب التيمم عن جابر بن عبد الله، رقم الحديث 182)، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

2- الونشريسي،1981، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، الجزء السابع، إشراف: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

3-أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

4-نوبي محمد حسن، 2002، عمارة المسجد في ضوء القرآن والسنة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة الشروق.

5- علي محمد الشاذلي الخولي، دور المساجد في التثقيف العلمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، وزارة الأوقاف.

6- محمد الطيب عقاب،2002، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.

7- كامل حيدر العمارة العربية الإسلامية (نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي)، 1990، الطبعة الأولى، لبنان، دار الفكر اللبناني.

8- سميرة جميل، 1999، الخصائص العمرانية لمدينة صنعاء القديمة والاستفادة منها في العمارة المعاصرة، جامعة القاهرة، رسالة دكتوراه في الهندسة المعمارية.

9- محمد بن سويسي، 2007-2008، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات (تمنطيط أنموذجا)، معهد الآثار، جامعة الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية.

10- لبتر قادة، 2006-2007، تأثير الرطوبة على المعالم الأثرية دراسة لبعض معالم مدينة تلمسان، جامعة تلمسان ، ماجستير في علم الأثار والمحيط.

11- ألفرد بل، 2011، بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين، تقديم وتعريب: محمد حمداوي، الجزائر، موفم للنشر .

12- الزركشي، 1999، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: مصطفى المراغي، الطبعة الخامسة، القاهرة، وزارة الأوقاف.

13- محمد عاصم رزق، 2000، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي.

14- الفيروز آبادي، 2009، القاموس المحيط، ترتيب وتوثيق: خليل مأمون شيحا، مادة (ريل)، بيروت، دار المعرفة.

15- ك.و.سميثيز، 1988، أسس التصميم في العمارة، تر: محمد الحصين، الرياض، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع.

16- حسن مؤنس،1991، الكويت، المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

17-أبي الفداء السيد بن عبد الله المقصود الأثري، 1991، تحديد الراكع والساجد من بدعة زخرفة المساجد، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل.

18- يحي وزيري، 1999، موسوعة العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة مدبولي.

19- ولفرد جوزف دله، العمارة العربية بمصر، تر: محمود أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

20- صالح بن قربة، 1986، المئذنة المغربية الأندلسية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

21-ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر.

22- محمد برشان، الحركة العلمية في الزوايا –**الزاوية الزيانية أنموذجا** -، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران، العدد 2و3، جانفي 2013.

23- مصلحة بلدية تيانت.

24- Tinthon Robert, les Traras et étude d'une région musulmane d'Alger;

25-Gorguos, 1857 – 1858,"Noticesur le Bey d'Oran" in Africaine, T :3, O.P.U, Alger.

26-Renée basset, 1901, nedroma et les trars; paris.

27-Ernest Neufert, 1996, les éléments des projets de construction, paris, 7éme édition: dunod,

-الملاحق:

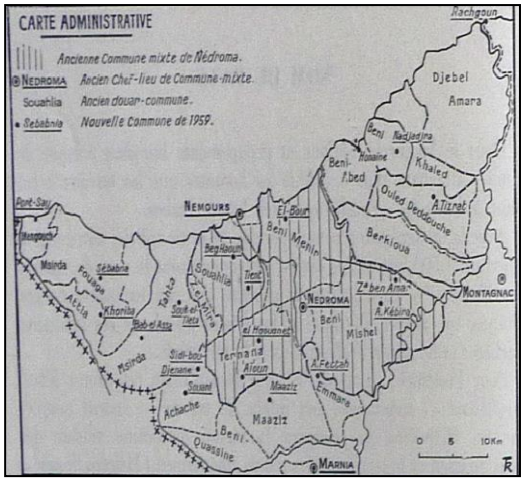

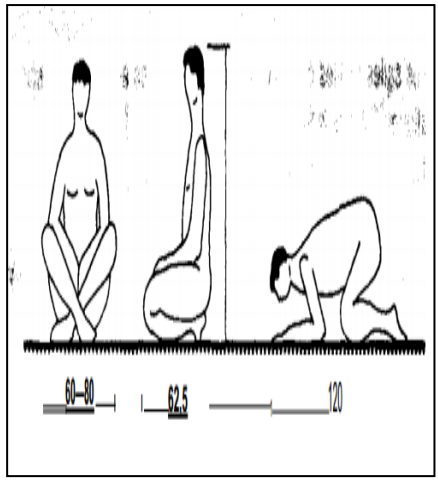

الشكل 01:مساحة المصلي

(Ernest neufert .....p520 عن)

الشكل 02: خريطة إدارية تبين منطقة تيانت بالنسبة لترارة

(R.TINTHON...P218 عن)

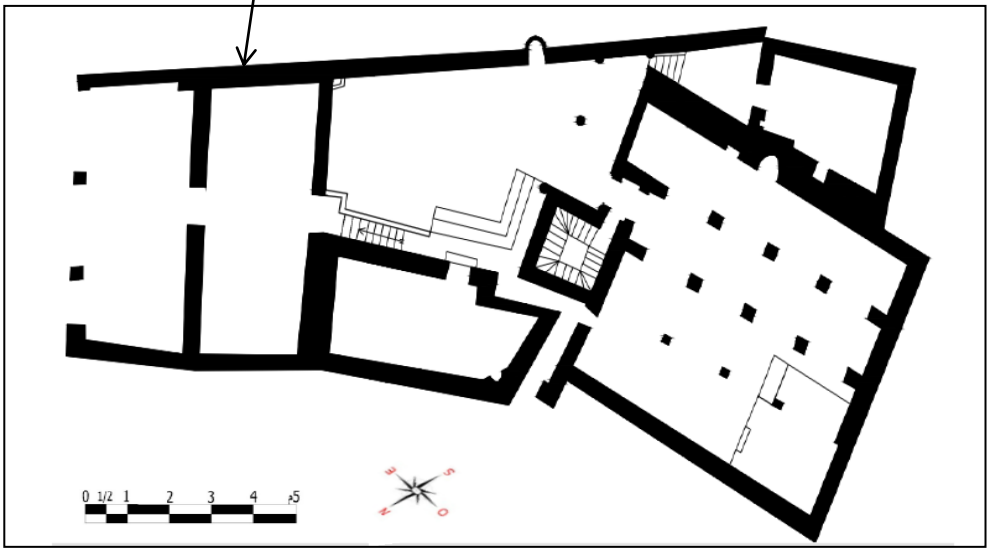

الشكل 03: مخطط أفقي لمسجد مولاي إدريس

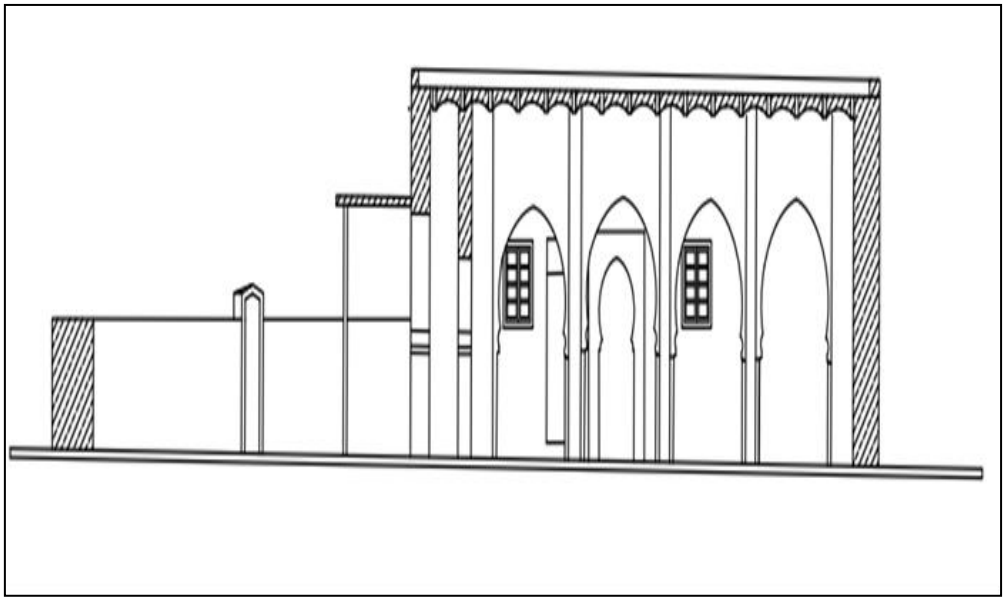

الشكل 04: مقطع طولي لمسجد مولاي إدريس

الصورة01 : منظر عام لمنطقة تيانت الجديدة (الحزام) من مسجد مولاي إدريس

الصورة 02: منظر عام لمسجد مولاي إدريس

الصورة 03 : عقود ومحراب بيت الصلاة لمسجد مولاي إدريس

الصورة 04: مدخل وسقيفة مسجد مولاي إدريس

الصورة 05: مئذنة مسجد مولاي إدريس